لمـــاذا ترجمت فرتر

« الى الصديق الذي سألني هذا السؤال وهو طليق الحرية في سماء مأجنه عنه وهو سجين الاستبداد في كركوك »

تسألني لماذا ترجمت فرتر ... والجواب عن هذا السؤال حديث ، والحديث عنه سيكون قصة ، وليس يعنيك اليوم منها إلا ما نجم عنها :

قال (جوت) يوماً لصديقه (اكيرمان) : « كل امرئ مأتى عليه حين من دهره يظن فيه أن (فرتر) انما كتب له خاصة »

وأنا في سنة ١٩١٩ كنت أجتاز هذا الحين : شباب طري حصره الحياء والانقباض والدرس ونمط التربية وطبيعة المجتمع في دائرة ليس فيها من الواقع غير وجوده .... واحساس مشبوب يتوقد شعوراً بالجمال ، وقلب رغيب يتحرق ظمأ إلى الحب ، ونوازع طماحة ما تنفك تجيش ، وعواطف سيالة ماتكاد تتماسك ... ! فالطبيعة في خيالي شعر ، وحركات الدهر نغم ، وقواعد الحياة فلسفة ! ... وكان نهمي لكل شيء وحكمي على كل شخص يصدران عن منطق أفسد أقيسه الخيال ، وزور نتائجه المثل الأعلى . ثم غمر هذه الحال التي وصفت هوى دخيل هادىء ، ولكنه مُلِحّ ، فسحت منه في فيض سماوي من النشوة واللذة ، وأحسست أن وجودي الخالي قد امتلأ ، وقلبي الصادي قد ارتوى ، وحسي الفائر قد سكن . وتخيلت أن حياتي الحائرة قد أخذت تسير في طريق لا حب تتثر على مدارجه نواضر الورود ، وترف على جوانبه نوافح الريحان ، وتزهو على جوانبه الوان عبقر ، وترقص على حفافيه عرائس الحور ! .. ورحت أسلك هذا الطريق السحري محمولاً على جناح الهوى كأني (فوست) على جناحي (ميفستوفاليس) حتى ذكرني الزمان الغافل فأقام فيه عقبة اصطدم عندها الخيال بالواقع ، والحبيب بالخاطب ، والعاطفة بالمنفعة !! على اني بقيت على رغم الصدمة حياً ولا بد للحي أن يسير !!

تطلعت وراء العقبة انظر الطريق فاذا الأرض قفر والورد شوسج والريحان حمض ، والعرائس وحوش .

فشعرت حينئذ بالحاجة إلى الرفيق المؤنس ! ... ولكن أين أنشدها أبني وحولي من الفراغ نطاق مخيف ، وأمامي على أسنة الصخور أشلاء وجثث !! ؟ هذه أشباح صرعى الهوى تتراءى لعيني ، وهذه أرواح قتلاه تتهافت علي ، وهذه مجلات مصارعهم بين يدي ، فلم لا أحدو بأناشيدهم رواحلي ، وأقطع بمناجاتهم مراحلي ، وألتمس في مراجعهم لهواي عزاء وسلوة ؟؟

قرأت هيلويز الجديدة ، وريني ، واتالا ، وأودلف ، ودوميبك ، وماريون دلورم ، ومانون ليسكو ، وذات الكيليا ، وجرازيلا ، ورفائيل ، وجان دكريف ، وتوثقت بأشخاصها صلاتي ، وتصعدت في زفراتهم زفراتي ، وتمثلت في نهايتهم المحزنة نهايتي . ولكنهم كانوا جميعاً غيري ! تتفق في الموضوع ولكن تفترق في الوضع ، كالنساء النوادب في مناحة ، تندب كل واحدة منهن فقيدها وموضوع الأسى للجميع واحد هو الموت !!

فلما قرأت (آلام فرتر) سمعت نواحاً غير ذلك النواح ، ورأيت روحاً غير هاتيك الأرواح ، وأحسست حالاً غير تلك الحال !!

كنت أقرأ ولا أرى في الحادثة سواي ، وأشعر ولا أشعر إلا بهواي ، وأندب ولا أندب إلا بلواي ، فهل كنت أقرأ في خيالي أم أنظر في قلبي ، أم هو الصدق في نقل الشعور والحذق في تصوير العاطفة يظهران قلوب الناس جميعاً على لون واحد ؟؟

كنا يومئذ في مايو والطبيعة تعلن عن حبها بالألوان والالحان والعطر ، ونفسي تحاول أن تعلن عن هواها بالدموع والشعر ، فآلامي تجيش في عيني ، وعواطفي تتزى على لساني ، وبلابل تتوثب في خاطري ، وكلها تطلب السبيل الى العلانية ، — والشكوى في الحب كالطفح في الحمى كلاهما عرض ملازم — فلما قرأت (فرتر) تنفس جواي المكظوم ، واستغنى عن البيان هواي المكتوم . لأني لو كنت صببت مهجتي على قرطاس لما كانت غير (فرتر) ، وهل فرتر إلا قصة الشباب في كل جيل ؟ رجل شديد الحس قوي العاطفة يتقسم الخيال « والابديال » نواحي نفسه ، ورجل آخر بارد الطبع عملي الفكر يعرف دائماً كيف يجر النار الى قرصه ، وامرأة بينهما يجذبها إلى الأول طبعها الغزلي وقلبها الشاعر ، ويربطها بالثاني عقلها المادي ووعدها المأخوذ ... هذا هو موضوع آلام

فرتر وهو عينه موضوع آلامي . . . فلم لا أنقله إذن إلى لغتي لينطق عن لساني ، كما ترجم صادقاً عن ضميري ؟؟

* * *

فنيت في (جوت) وقادني إلهامه وروحه ، وأهبتُ بلغة القرآن والوحي أن تتسع لهذه النفحات القدسية فأسعفتني ببيانها الذي يتجدد على الدهر ويزهو على طول القرون . ثم أصبح فرتر بعد ذلك لنفسي صلاة حب وتسبيد عزاء ورُقيةُ هم !! كأنما كان (جوت) يناديها من وراء الغيب حين يقول في تقدمته لفرتر : « وأنت أيتها النفس . . . اذا أشجاك ما اشتجاد من غصة الهم وحرقة الجوى فاستمدي الصبر والعزاء من آلامه . وتلمسي البرء والشفاء في أسقامه ، واتخذي هذا الكتاب صاحباً وصديقاً اذا أبى عليك دهرك أو خطوك أن تحدي من الأصدقاء من هو أقرب اليك وأحنى عليك ؟؟

ا . الزيات

فلسفة شوبنهور

(بقية المنشور على صفحة ١٣)

الزمام . وأنت عاجز عن دراك السعادة بالمال والجاه . وهي على قاب قوسين منك اذا أسلمت قيادك الى العقل واستطعت أن تضغط على الارادة حتى تحصرها في حيز ضئيل . ويعتقد شوبنهور أن الانجاز لا يكون في اخضاع العالم بأسره بقدر ما يكون في اخضاع الارادة . .

اذن فالفيلسوف وحده هو الذي يستطيع أن يتغلب على شقاء الحياة . لأنه صورة من المعرفة غير المقيدة بالارادة . واذا استطاع الفكر أن يتخلص من قيود الرغبة والهوى أمكنه أن يرى الأشياء على حقيقتها المجردة .

فالفلسفة هي عبارة عن النظر المجرد عن الارادة . هي انكار الذات عند النظر الى مظاهر الوجود واعتبارها حقائق في ذاتها دون أن تربطها بالحياة البشرية .

٥ — الفن

نحن اذن نشد تحرير المعرفة من استعباد الارادة . نشد انكار الشخص لنفسه عند نظره للأشياء . وليس هذا المنشود الا الفن في أصح معانيه . فالفنان العبقري يحاول أن يرى الأشياء من وجهة صفاتها العامة ولا يعبأ كثيرا بالأشياء المادية التي تمثل تلك الصفات فموضوع الفن هو تجسيد الكلي العام في جزئي من الجزئيات . والصورة الفنية يجب أن تكون المثل الأعلى للشيء المصور . ومعنى ذلك أن صورة البقرة مثلا لكي تكون من آيات الفن الرفيع ، يجب أن يتجمع فيها كل مميزات هذا النوع وما يتعلق به من صفات ، كأن نوع البقرة كله قد تركز في هذه البقرة الواحدة . وصور الأشخاص يجب أن تقصد لا الى الدقة الفوتغرافية . بل الى عرض كل ما يمكن عرضه من صفات الانسان عامة في ملامح الشخص المصور . اذ الواقع أن الفنان يصور صفات . وليست الاجسام الا وسائل فقط لابراز تلك الصفات .

ولنوجز هذا في عبارة أخرى : نقول ان الصورة الفنية لشيء ما يجب أن تكون عبارة عن « المثل الافلاطوني » لذلك الشيء . وبقدر ما تقرب الصورة من ذلك المثل الخيالي تكون قيمتها الفنية .

فطربنا لجمال الطبيعة أو الشعر أو التصوير انما يصدر عن تأمل الأشياء في حقيقتها الواقعة دون أن يمتزج ذلك التأمل برجهة النظر الشخصية . فسواء لدى الفنان أن يرى غروب الشمس من قصر منيف أو من كوة في سجن مظلم .

فالفن يمحو بؤس الحياة وعللها بأن يعرض علينا صورا خالدة من وراء هذه الصور الفردية الزائلة .

٦ — الدين

واذا كانت الفلسفة وسيلة لانقاء شرور الحياة بما تستطيعه من اخضاع الشهوة لحكم العقل ، واذا كان الفن عاملا من عوامل السعادة لأنه لا يعبأ بالأشياء المادية التي تتحرك أمامنا وانما يعنى بحقائق هذه الأشياء الخالدة . فالدين طريق ثالث يؤدي الى سعادة النفس وطمأنينتها لأنه بدوره عبارة عن اخضاع الارادة لحكمة العقل . فالصيام الذي تفرضه الأديان جميعاً يقصد منه تدريب النفس على قهر ارادتها او شهوتها .

٧ — حكمة الموت

وبعد . فما أعجب أن تكون الحياة كما هي شروراً وآلاما ، ومع ذلك تتخذ لها من أنفسنا عونا على الانتشار والذيوع !! يصيح شوبنهور بأعلى صوته إن الحياة سوء وشر ويجب أن نقضي عليها قضاء مبرما . ولكن كيف ؟ الحل عنده بسيط وهو أن نهجر النساء هجرا جنسياً لأنهن أس البلاء بما يقدمن للرجال من فتنة واغراء . وهو يتساءل : الى متى تدفعنا الحياة أمامها دفع الخراف وهي لا تجوى الا شقاء وعناء ؟ متى نتجمع كل ما نملك من قوة وشجاعة لنقبح في وجهها إن الحياة كذوبة وخدعة أن نجاة الانسان وخلاصه انما هو الموت ؟!

زكي نجيب محمود